

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

ترسيخ شأنيّة «التّشريع» للمعصومين

و اليوم سنُرسِّخ مبنَى «التّشريع» ضمن النِّقاط التّالية:

· لقد ارتَقينا عن منزلة «تبيين الدّين» و سجّلنا مكانة «التّشريع» للمعصومين عليهم السّلام بحيث لا تنجلي «إرشاديّة أوامرهم» أبداً - رفضاً للمحقّق البروجردي- إذ لمّا افترَضنا منصب «التّشريع» فبالتّالي ستتلبّس أوامرهم صِبغة «المولويّة و الموضوعيّة» تماماً لا محض «إنباء و حكاية» عن الواقع فحسب كي تتولّد معضلة «إرشاديّة أوامرهم» - زعماً من المحقّق البروجردي-.

· إنّ «التّشريع» لا يُنتج الاستقلاليّة البحتة بل يُشرّع المعصوم بإذنه تعالى طويلاً لا عرضياً - كي يُنجب الشّرك في التّشريع - لأنّه تعالى قد أعطاهم المنبع العلميّ اللّذني المخبأ لديه و هو يستبطن قاطبة «الملاكات و الأسرار» الكونيّة و التّشريعيّة - وفقاً للعدليّة المُقرّة باللّوح المحفوظ - فبالتّالي قد حاز المعصوم ذاك العلم الأصيل فنال أيضاً تلك «القوّة القدسيّة الملكوتيّة» بإذنه تعالى ثمّ فُوّض إليه منّاخ «التّشريع» تماماً - وفقاً لتنصيب الروايات اللاحقة - بحيث إنّ المعصوم رغم معرفته بالملاكات اللّزوميّة - ووجوب العمل - ربما لا يستوجبها على العباد نظراً لرؤيته القدسيّة للأوضاع و المصالح، إذ مشيئات «المفوّض إليه» تنطبق على مشيئات «المفوّض» بالكامل، فلا يشاء شيئاً إلا أن يشاءه الله أيضاً و لا يُصدر بياناً إلا ما أمر و نهى الله تعالى أيضاً بحيث «لو كان الله يريد ذلك التّشريع لشرّعه على نسق تشريع المعصوم حدّواً بحذو» فإنّ الذي قد حظي لأنهم بالولاية التّكوينيّة و التّشريعيّة معاً فسيُتاح له أن يتدخّل - أحياناً ما - في أفق التّكوين و التّشريع مباشرةً و ذلك ببركة «الروح القدسيّة» - المطروحة ضمن الروايات الآتية - و بلا افتقار للوحي السّمائي إطلاقاً إذ قد ترابّطت «القوّة القدسيّة» مع «التّفويض التّامّ الإلهي» فلا وسيط في البين.

· لقد منح الله تعالى هذه النّحلة - التّشريع - للمعصوم من خلال «التّفويض التّامّ» بحيث لم يهب هذه الموهبة الملكوتيّة لأيّ فقيه بناتاً - حتّى وفق مبنَى «الولاية المطلقة للفقهاء» - إذ المعصوم قد امتاز «بالقوّة القدسيّة الخاصّة» و «بالولاية التّكوينيّة» أيضاً، بينما الفقيه يفتقدُهما، و بالتّالي إنّ هاتين الخصلتين قد ميّزتا ما بين منصب الإمام و الفقيه تماماً، فإنّنا قد بيّنا مسبقاً منصّة «التّفويض» أي منفّح اليد لدى التّدخّل في إطار الأحكام، و لكنّ البشر المُفتقِد لهذه الميزة تراه قد يورّط نفسه بالقياس و الرّأي و الاستحسان و السّد الذّرائع و ... بينما هذه العمليّات الفاشلة ستُفرّزه عن جادّة التّشريع تماماً - و هو لا يشعر-.

· و ممّا يُعزّز هذه النّظريّة الرّائعة هي تصريحات الشّيخ المظفّر أيضاً بشأنيّة «التّشريع» قائلاً:

«قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام «علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف باب من العلم يفتح لي من كلّ باب ألف باب» [1] وعليه، فليس بيانهم للأحكام من نوع رواية السنّة و حكايتها، و لا من نوع الاجتهاد في الرّأي و الاستنباط من مصادر التشريع، بل هم أنفسهم مصدر للتّشريع، فقولهم سنّة لا حكاية السنّة.» [2]

البَرهنة على التَّشريع عبر الرِّواية و القرآن الكريم

و سنُبرهن الآن بنمطين من الأدلة - القرآنية و الروائية - على تحقق التشريع:

1. كافة الآيات المؤكدة على «إطاعة النبي» حيث قد أعلنها الله قائلاً: «و أطيعوا الرسول» [3] فإن تكرير الإطاعة بتصوير مستقل سيستدعي إطاعته «الاستقلالية المولوية» بضرر قاطع، فقد استخدم القرآن هذه الصياغة المتكررة كي يفهمنا بأن المعصوم يمتلك قيمة الهيمنة و السيطرة التامة على تبديل جزئيات «التشريع» فإنه تعالى قد عمد إلى التكرير إيصالاً للمولوية القصوى - لا محض تكرر و تأكيد- أي أطيعوا المعصوم باعتباره آمراً و ناهياً لا باعتباره ناقلاً عن الله تعالى - فحسب- فلو أبيت ذلك لاستمسكنا بالقدر المتيقن حينئذ و هو الإطلاق - أطعه مولوياً سواء أمرك من قبل نفسه أو من الله تعالى - فبالتالي ستتحتم كافة الإطاعات النبوية بلون «المولوية» إذ إطاعة الله تعد إرشادية في الآية - دفعاً لتسلسل الأوامر- و لكن إطاعة الرسول تعد مولوية تماماً - لورود الأمر المولي لها و التفويض و...- فهذا التفكير قد نبع عن القرينة.

2. لقد أناط تعالى إطاعته على مسaire الرسول بصياغة إطلاقية قائلاً: «من يطع الرسول فقد أطاع الله و من تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً» [4] فلو افترضنا أن بيانات النبي - من قبل الله- قد انطبعت انطباع «الإخبار» فحسب -وبلا مولوية- ألغا «اختصاص الإطاعة بالنبي» فإنه تعالى قد خصها بالنبي خصيصاً له فحسب.

3. لقد صرخت الآية التالية «بأتباع النبي» تحديداً: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم» [5] فإنه تعالى لم يُعبر: «فاتبعوا أمر الله» مما يؤكد فكرة «التشريع المستقل» في طول إرادته و علمه تعالى بلا تخلف عن المنظومة الدينية المطلوبة لله تعالى، إذن، إننا لا نتجمد على منهجة «الحكاية و الإخبار الإرشادي».

4. و قد أشارت الآية التالية إلى اختصاص المعصوم بالتشريع: «و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الإيمان» [6] إلا أن غموضها سيحل ببركة الروايات اللاحقة المصراحة بذلك.

5. لقد هتف الإمام الصادق عليه السلام ضمن الصحيحة التالية قائلاً:

«إن الله عزوجل أدب نبيه على محبته فقال: «و إنك لعلی خلق عظیم» ثم فوض إليه فقال عز و جل: «ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا» و قال عز و جل: «من يطع الرسول فقد أطاع الله». و إن نبي الله فوض إلى علي و أئتمنه، فسلم و جحد الناس» [7].

فإن عظمة الأخلاق لا تنحصر في السلوكيات و التعاملات الاجتماعية و الفردية فحسب - زعماء من البعض- بل وفقاً لهتاف بعض الروايات إن النبي قد بلغ ذروة المعنويات و الوعاء القدسي الإلهي العظيم، فعلى منواله قد استورد علي بن إبراهيم عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قائلاً: «قوله: و إنك لعلی خلق عظیم، أي على دين عظیم». [8] فلحاظاً لهذا الوعاء العظيم قد أطاق صلى الله عليه و آله تحمل «منصب التفويض و التشريع».

و أما عملية «التأديب» فتعني أن النبي الأكرم حيث قد أحب ربّه تعالى فأدبه الله على محبته أيضاً ثم وهبه تلك «القوة القدسية العظيمة» عبر التأديب و التعليم - لا أن الله تعالى هو الذي قد أعطاه محبته فسار فيه النبي الأكرم-.

6. و قد انسكبت «منصة التفويض» على الأئمة الطاهرين أيضاً حيث يقول صلى الله عليه و آله: «أنا مدينة العلم، و علي بابها،

فمن أراد العلم فليقتبسه من عليّ» [9] مما يعني أنّه صلى الله عليه وآله لم يُحدّد أمير المؤمنين على نقطة التبليغ والنطق الرسمي والإرشادية البحتة.

7. بل قد تضافرت الروايات بهذا الشأن أيضاً: «فَقَالَ لِي يَا إِبْنُ أَشِيمَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوَّضَ إِلَيَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ فَقَالَ «هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» وَفَوَّضَ إِلَيَّ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا» فَمَا فَوَّضَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَدْ فَوَّضَهُ إِلَيْنَا.» [10]

8. «عَنْ زُرَّارَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ وَابَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولَانِ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوَّضَ إِلَيَّ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمْرَ خَلْقِهِ لِيَنْظُرَ كَيْفَ طَاعَتُهُمْ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا».

9. «عَنْ إِبْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَذْيَنَةَ عَنْ فَضِيلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ لِبَعْضِ أَصْحَابِ قَيْسِ الْمَاصِرِ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَّبَ نَبِيَّهُ فَأَحْسَنَ أَدَبَهُ فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهُ الْأَدَبَ قَالَ: «إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَ الدِّينِ وَالْأُمَّةِ لِيَسُوسَ عِبَادَهُ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا» وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ مُسَدِّدًا مُوَفِّقًا مُوَيْدًا بِرُوحِ الْقُدُسِ لَا يَزِلُّ وَلَا يُخْطِئُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَسُوسُ بِهِ الْخَلْقَ فَتَأَدَّبَ بِأَدَابِ اللَّهِ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ الصَّلَاةَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ عَشْرَ رَكَعَاتٍ فَأَصَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الرُّكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ وَإِلَى الْمَغْرِبِ رَكْعَةً فَصَارَتْ عَدِيلُ الْفَرِيضَةِ لَا يَجُوزُ تَرْكُهَا إِلَّا فِي سَفَرٍ وَأَفْرَدَ الرُّكْعَةَ فِي الْمَغْرِبِ فَتَرَكَهَا قَائِمَةً فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ فَأَجَازَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فَصَارَتْ الْفَرِيضَةُ سَبْعَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمَّ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ النَّوَافِلَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ رَكْعَةً مِثْلِي الْفَرِيضَةِ فَأَجَازَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ذَلِكَ وَالْفَرِيضَةَ وَالنَّافِلَةَ إِحْدَى وَخَمْسُونَ رَكْعَةً مِنْهَا رَكْعَتَانِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ جَالِسًا تُعَدُّ بِرَكْعَةِ مَكَانِ الْوُتْرِ وَفَرَضَ اللَّهُ فِي السَّنَةِ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَسَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَوْمَ شَعْبَانَ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِثْلِي الْفَرِيضَةِ فَأَجَازَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ذَلِكَ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَمْرَ بِعَيْنِهَا وَحَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمُسْكِرَ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ فَأَجَازَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَعَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَشْيَاءَ وَكَرِهَهَا وَلَمْ يَنْهَ عَنْهَا نَهْيَ حَرَامٍ إِنَّمَا نَهَى عَنْهَا نَهْيَ إِعَافَةٍ وَكَرَاهَةٍ ثُمَّ رَخَّصَ فِيهَا فَصَارَ الْأَخْذُ بِرُخْصِهِ [11] وَاجِبًا عَلَى الْعِبَادِ كَوُجُوبِ مَا يَأْخُذُونَ بِنَهْيِهِ وَعَزَائِمِهِ وَلَمْ يُرَخَّصْ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيمَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ نَهْيَ حَرَامٍ وَلَا فِيمَا أَمَرَ بِهِ أَمْرَ فَرَضٍ لِأَنَّهُ فَكَّيْثُ الْمُسْكِرِ مِنَ الْأَشْرِيَةِ نَهَاَهُمْ عَنْهُ نَهْيَ حَرَامٍ لَمْ يُرَخَّصْ فِيهِ لِأَحَدٍ وَلَمْ يُرَخَّصْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَحَدٍ تَقْصِيرَ الرُّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ضَمَمَهُمَا إِلَى مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَلْ أَلْزَمَهُمْ ذَلِكَ الْإِلْزَامَ وَاجِبًا لَمْ يُرَخَّصْ لِأَحَدٍ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُسَافِرِ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُرَخَّصَ شَيْئًا مَا لَمْ يُرَخَّصْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَوَافَقَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَهْيُهُ نَهْيَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَجَبَ عَلَى الْعِبَادِ التَّسْلِيمُ لَهُ كَالْتَسْلِيمِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.» [12]

فَنَسْتَنْتِجُ مِنْ ظُهُورِ الرِّوَايَاتِ الْعَطْرَةَ أَنَّ الْأَمْرَ فِي «فَخُذُوهُ» وَ«انْتَهُوا» ذُو صِبْغَةٍ مَوْلَوِيَّةٍ مُسْتَقَلَّةٍ مِنْ قِبَلِ نَفْسِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ بِالْتَّحْدِيدِ - لَا بِوَصْفِهِ مَبْلَغًا وَنَاطِقًا رَسْمِيًّا فَحَسَبَ كَيْ يُعَدَّ إِرْشَادِيًّا - رَغْمَ أَنَّهُ فِي طَوْلِ إِرَادَتِهِ تَعَالَى أَيْضًا.

بل قد أفرد الكافي الشريف باباً يَخُصُّ نقاشنا الحالي، قائلاً:

«بَابُ الرُّوحِ النَّبِيِّ يُسَدِّدُ اللَّهُ بِهَا الْأُئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»:

10. «عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ» [13] قَالَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْظَمَ مِنْ جِبْرِئِيلَ وَمِيكَائِيلَ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُخْبِرُهُ وَيُسَدِّدُهُ وَهُوَ مَعَ الْأُئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ.» [14]

11. «عَنْ أَبِي حَمَزَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْعِلْمِ أَ هُوَ عِلْمٌ يَتَعَلَّمُهُ الْعَالَمُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ أَمْ فِي الْكِتَابِ عِنْدَكُمْ تَفَرُّوْنَهُ فَتَعْلَمُونَهُ مِنْهُ قَالَ الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَ أَوْجَبُ أَمْ سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ» ثُمَّ قَالَ أَيُّ شَيْءٍ يَقُولُ أَصْحَابُكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَ يُفَرُّونَ أَنَّهُ كَانَ فِي حَالٍ لَا يَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ فَقُلْتُ لَا أَدْرِي جُعِلَتْ فِدَاكَ مَا يَقُولُونَ فَقَالَ لِي بَلَى قَدْ كَانَ فِي حَالٍ لَا يَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى الرُّوحَ الَّذِي ذَكَرَ فِي الْكِتَابِ فَلَمَّا أُوحَا إِلَيْهِ عِلْمٌ بِهَا الْعِلْمُ وَالْفَهْمُ وَ هِيَ الرُّوحُ الَّتِي يُعْطِيهَا اللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَاءَ فَإِذَا أَعْطَاهَا عَبْدًا عَلَّمَهُ الْفَهْمَ» [15]

و لُبُّ الرِّوَايَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حِينَمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ دَفَعَهُ وَاحِدَةً نَظَرًا لِلآيَاتِ التَّالِيَةِ: «و إِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ» [16] فَبِالتَّالِيِ إِنَّ هَذَا الْإِنْزَالَ قَدْ كَوَّنَ لِلنَّبِيِّ تِلْكَ «الرُّوحَ الْإِلَهِيَّةَ وَ النُّورَ الْقُدْسِيَّ» وَ لِهَذَا قَدْ بَلَغَتْ رُوحُهُ مَنَتهَى الدَّرَجَاتِ الرَّفِيعَةِ وَ نَالَ مَقَامَ التَّفْوِيزِ وَ التَّشْرِيعِ.

12. «عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْخَزَّازِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» قَالَ خَلَقَ أَعْظَمُ مِنْ جِبْرِئِيلَ وَ مِيكَائِيلَ لَمْ يَكُنْ مَعَ أَحَدٍ مِمَّنْ مَضَى غَيْرَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ هُوَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ يُسَدِّدُهُمْ وَ لَيْسَ كُلُّ مَا طُلِبَ وَجِدَ» [17]

فَوْفَقًا لِنَصْرِيحِ الرِّوَايَةِ إِنَّ هَذِهِ الرُّوحَ تَمَتَّعَ بِاسْتِقْلَالِيَّةٍ فِي الْوُجُودِ -إِضَافَةً إِلَى رُوحِ الَّذِي نَفَخَ تَعَالَى فِي كَافَّةِ الْبَشَرِ- وَ قَهَرَتْ مَرْتَبَةَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ تَمَامًا، إِذْ قَدْ صَرَّحَتِ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ: «رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا» أَيِ رُوحٍ خَصِيصٍ لِلنَّبِيِّ فَحَسَبَ -فَلَا تُضَاهِيهِ أَرْوَاحُ الْبَشَرِ السَّادِجَةِ-.

• فإِمعَانًا فِي كَافَّةِ الْأَدَلَّةِ الْمَذْبُورَةِ، سَيَسْتَبِينَ لَكَ أَنَّ رَوَايَاتِ «ازْدِيَادِ عِلْمِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى» قَدْ رَكَّزَتْ عَلَى جِهَاتٍ أُخَرَ كَاسْتِئْصَالِ شَبْهَةِ الْأُلُوهِيَّةِ مِنَ الْمَعْصُومِ وَ كَافْتِقَارِهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ وَ... بَلْ وَفَقًا لظُهُورِ شَتَّى الرِّوَايَاتِ فِي حَقِّهِمْ، إِنَّ التَّزْوِيدَ الْإِلَهِيَّ يَسْتَهْدِفُ تَقْوِيَةَ رُوحِهِمُ الْقُدْسِيَّةَ وَ نُورِهِمُ الْإِلَهِيَّ، وَ ذَلِكَ نَظِيرَ مَنَاجَاتِهِمْ وَ أَدْعِيَتِهِمْ حَيْثُ لَا تَضُرُّ كَمَالَهُمْ وَ لَا تَمَسُّ عَصَمَتَهُمُ التَّامَّةَ، بَلْ عَبَّرَ نَجَوَاهُمْ سَتَرَقَى مَكَانَتُهُمُ الْعِلْمِيَّةَ وَ الْمَعْنَوِيَّةَ -إِلَى الْإِلَاحِدُودِ- [18]

• وَ أَمَّا الْآيَةُ التَّالِيَةُ: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» [19] فَتَنَعَطِفُ عَلَى الْآيَةِ السَّالِفَةِ: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا» فَإِنَّهُ تَعَالَى حِينَمَا أَوْحَى إِلَيْهِ الرُّوحَ الْخَاصَّةَ وَ النُّورَ الْعَظِيمَ فَبِالتَّالِيِ سَتُحَسَّبُ كَافَّةُ أَقَاوِيلِ الْمَعْصُومِينَ مِنْ نَمَطِ الْوَحْيِ إِذْ قَدْ عُجِنَتْ طِينَتُهُمْ أَزَلِيًّا بِالنُّورِ الْإِلَهِيِّ وَ الْقُوَّةِ الْقُدْسِيَّةِ -مِنْذُ الْأَسَاسِ- بِحَيْثُ أَيْنَمَا يَتَّجِهُونَ وَ مَهْمَا يَتَفَوَّهُونَ بِهِ فَإِنَّمَا هُوَ نَفْسُ اتِّجَاهِ الْوَحْيِ بِالضَّبْطِ فَيُعَدُّ تَشْرِيعًا أَصِيلًا بَلَا تَكْتَرُّ الْوَحْيِ وَ الْوَسِيطِ.

• وَ حَسْمًا لِلْحَوَارِ، إِنَّ شَبْهَةَ الْمُحَقِّقِ الْبُرُوجَرْدِيِّ سَتَتَلَاشَى بِبَرَكَةِ مَنَهِجَةِ «التَّشْرِيعِ» إِذْ سَتُصْبِحُ أَوَامِرُهُمْ عَيْنَ الْمَوْلُودِيَّةِ وَ الْمَوْضُوعِيَّةِ بَلَا إِرْشَادِيَّةٍ إِطْلَاقًا، بَيْنَمَا وَفَقًا لِلْمَشْهُورِ -الْإِمَامِ مَبِينٍ فَحَسَبَ- سَتَظَلُّ «شَبْهَةُ الْإِرْشَادِيَّةِ» رَاسِخَةً.

[1] بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٢٩ ح ٣٦، بلفظ: لقد علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف بابٍ يفتح كلُّ بابٍ ألف بابٍ.
[2] مظفر محمد رضا. أصول الفقه (المظفر ج 3). ص 65 جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم. مؤسسة النشر الإسلامي.
[3] فَإِنَّ إطَاعَةَ الرَّسُولِ قَدْ تَوَاجَدَتْ سَبْعَ مَرَّاتٍ ضَمِنَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كَالْتَّالِيِ: سُورَةُ النَّسَاءِ الْآيَةُ 59 وَ 80 وَ 64. وَ سُورَةُ الْمَائِدَةِ الْآيَةُ 92. وَ سُورَةُ النُّورِ الْآيَةُ 56. وَ سُورَةُ مُحَمَّدٍ الْآيَةُ 33. وَ سُورَةُ التَّغَابُنِ الْآيَةُ 12.

[4] سُورَةُ النَّسَاءِ الْآيَةُ 80.

[5] سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الْآيَةُ التَّالِيَةُ: 31.

[6] الشورى: ٥٢

[7] الكافي ٢٦٥/٨.

[8] تفسير البرهان، سورة القلم، ج 5 ص 455.

[9] ارشاد مفيد، ج ١، ص ٣٣.

[10] كليني محمد بن يعقوب. الكافي (اسلاميه). Vol. 1. ص 269-270 تهران - ايران: دار الكتب الإسلامية.

[11] في بعض النسخ [برخصته].

[12] كليني محمد بن يعقوب. الكافي (اسلاميه). Vol. 1. ص 270 تهران - ايران: دار الكتب الإسلامية.

[13] الشورى: ٥٢

[14] كليني محمد بن يعقوب. الكافي (اسلاميه). Vol. 1. ص 272-273 تهران - ايران: دار الكتب الإسلامية.

[15] نفس المصدر.

[16] سورة الشعراء، الآيات: 192-194.

[17] نفس المصدر، وكذا ورد: «عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ يُونُسَ عَنْ حُسَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ عَنْ عُمَرَ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَدْعُ شَيْئًا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَّا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ وَبَيَّنَّهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدًّا وَجَعَلَ عَلَيْهِ دَلِيلًا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَى مَنْ تَعَدَّى ذَلِكَ الْحَدَّ حَدًّا» (الكافي (اسلاميه). Vol. 1. ص 59 تهران، دار الكتب الإسلامية).

[18] حيث قد عبّر سبحانه ضمن سورة المجادلة الآية التالية: 11: يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ. فَإِنَّ الْقَدْرَ الْمُتَيَقِّنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ هُمُ الْمُعْصُومُونَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَتًّا، وَهَذَا الْإِزْدِيَادُ وَالْإِرْتِفَاعُ يُلَاقِمُ مَقَامَ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي لَا حَدَّ وَدَّ لَهُ، فإمكانه تعالى أَنْ يَرْفَعَهُمْ إِلَى أَعْلَى فَالْأَعْلَى إِذْ لَا تُتَصَوَّرُ نَهَايَةُ أَبَدًا، حيث يقول تعالى عن لسان النبي الأكرم: وقل رب زدني علماً.

[19] سورة النجم، الآية 3 و 4.